الحرف العربي:

معالم وأسرار

بقلـــم:

أ. د/ عبد الفتاح محمد حبيب

الأستاذ فى قسم اللغويات بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرف وحدةٌ صغرى تتكوّن منها الكلمة المفردة، ولبنةٌ من خلالها تُرسَمُ صورتُها وهيئتُها حذفا وزيادة، وقلبا، وغير ذلك.

وهو في كل أحواله هذه وغيرها ينبئ عن غرض وحكمة؛ إذ ليست لغتنا العربيةُ لغة عبثيةً، تجرى فيها الأمورُ من غير تعِلَّةٍ، أو يتوارد عليها التغييرُ من دون سببٍ وبغيةٍ.

ومن ثَمَّ كان الوقوفُ على ما يطرأ على الحرفِ مِن ذلك مدخلا حسنا لفهم القرآن الكريمِ والحديث النبويّ الشريف، وكلامِ العرب شعرا ونثرا.

وهو يُحذَفُ لدلالة السياقِ عليهِ، أولقياس تقتضيه الصناعةُ النّحويةُ، قال ابن هشام: «والحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ، أو بالعكس، أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس،أو معطوفا بدون معطوف عليه ، أو معمولا بدون عامل» ا، هـ[1].

(١)ينظر: مغني اللبيب٢/٣٩٤، ٣٩٥.

والمقصود بدلالة السياقِ القرينةُ اللفظيةُ أو الحاليةُ، فهو أعمُّ من القياس، وقد أشارَ ابنُ مالك إلى ذلك بقوله:

وحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا تَقُولُ: "زَيدٌ" بَعْدَ "مَنْ عِنْدَكُمَا"

القياس أن يكون للمبتدأ خبرٌ، السائلُ يسأل: مَن عندَكمَا؟ فأجابه: زيدٌ، وحذَفَ الخبرَ، وهو: "عندنا"؛ لأنه دل عليه السّؤال.

وقد يكون الحذف لضرورة شعريّةٍ، والحرفُ يُدَلُّ عليهِ بلفظهِ أو معناهُ، فإن لُفِظَ به كانتِ الدلالةُ أقوى، وإن بَقِيَ معناه ساغَ له أن يَعْمَلَ محذوفا؛ لقياس أو سماع[1].

مثالُ الحرف الذي بقي معناه وأُبْقِيَ عملُه: قول رؤبةَ –وقد قيل له: كيف أصبحت–: خيرٍ عَافاكَ اللهُ، والتقديرُ: بخيرٍ، فقد حذف حرف الجر هنا وأُبْقِيَ عملُه، لأن معنى: كيف: بأي حال، فجعلوا معنى الحرف دليلا عليه، وحذف حرف الجرِّ هنا وبقاءُ عملِه سماعيّ.

وأما حذفُ الحرف وبقاءُ عملهِ قياسا؛ لبقاء معناه فنحو: بكم درهمٍ اشتريت ثوبَك؟ حيث إن مميّز (كَمْ) الاستفهامية إذا جُرَّت بحرف جرّ فإنه– أي: مميزها– يجر بـــ(من) مقدرة[2].

(١)ينظر: حاشية الدسوقي٣/٤٢٩.

(٢)ينظر: المقاصد الشافية٣/٧٠٩.

والغرض العام لحذف الحرف هو الاختصار، والتركيز على المذكور، ووضعه في دائرة الاهتمام؛ لأن مدار الحديث عليه، وكذلك لفت الانتباه إليه، وأيضا الدلالة على سرعة الإيقاع في الحدث، وتداخل الصفات والأفعال وترابطها، والقرب بين المخاطِب والمخاطَب، أي: إزالة الحواجز والفواصل بينهما، وكذا يحذف للتخفيف، أو لعلة صرفية.

وهذه أمثلة:

حذف فاء الجواب: ومنه قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(١).

﴿ ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ مرفوع لوجهين:

الأول: نائب فاعلُ﴿ كُتِبَ ﴾ ، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فليوصّ، ويكون تقدير الكلام: كُتِبَ عَليكُمُ الوصيةُ إذَا حضَرَ أحدَكُمُ الموتُ، أي: أسبابه، إنْ تركَ خيرًا فليوصّ. والمراد بالخير: المال الكثير.

الثاني: ﴿ ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ مرفوع بالابتداء على حذف الفاء، والتقدير: إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا فالوصية للوالدين، وحذفت هنا للاختصار ولتوجيه الاهتمام إلى الوصية والعناية بها، ومن ذلك قول الشاعر:

(١) البقرة: ١٨٠ .

مَنْ يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها والشّرّ بالشّرّ عند الله مثالانِ[١]

التقدير: فالله يشكرها.

قيل إنَّ حذف فاء الجواب خاص بالضرورة، وحذفت الفاء هنا؛ لإلفات الذهن إلى جملة (الله يشكرها)، الّتي تدلّ على كرم اللهِ وفضله الذي يعقب فعل الحسنات بدون حاجز.

وقيل إنه نادر، ومن ذلك ما أخرجه البخاري من قوله– صلى الله عليه وسلم– لأبي بن كعب في شأن اللقطة: «فإن جاء صاحبها وإلا استمتع بها»، أي: إن جاء صاحبها فأدّها إليه، وإن لم يجئ فاستمتع بها[٢]، وحذفت الفاء؛ لإلفات الذهن إلى الجملة الأمرية، وكذلك الدلالة على سرعة تنفيذ الأمر بدون بطء.

وممن أجاز حذف فاء الجواب في الاختيار أبو الحسن الأخفش[٣] والمبرد[٤].

وخصت الفاء لربط الجواب بالشرط؛ لما فيها من معنى السببية والتعقيب، والجزاء متسبب عن الشرط ومتعقب عنه[٥].

---

(١)من البسيط، وقائله كعب بن مالك، وهو في ديوانه ص: ٢٨٨، والكتاب٣/٦٥، ١١٤، والبيان في إعراب غريب القرآن للأنباري١/١٣١، وحاشية الدسوقي٣/٤٢٠.

(٢)حاشية الصبان٤/٣٠، ٣١.

(٣)الدسوقي١/٤٥٠.

(٤)صبان٤/٣٠.

(٥)علل النحو/٤٤٠، وصبان٤/٢٩.

حذف (قد):

يرى البصريون أن الفعل الماضي الواقع حالا لابد معه من (قد) ظاهرة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[1]. وقد تحذف نحو قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾[2].

والعلة في مجيء (قد) مع الماضي أن الماضي يحتمل كل جزء من أجزاء الزمان الماضي، فإذا دخلت عليه (قد) قربته من الحال، وانتفى عنه ذلك الاحتمال[3]، و﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾، أي: ضاقت، والدليل على حذف (قد) عند البصريين القياس، وحذفت اختصارا، وللتركيز على بيان حالهم عند مجيئهم، والإسراع في إظهارِ ما عليه صدورهم من الحرج والضيق.

حذف (لا) النافية:

يطّرد ذلك في جواب القسم إذ كان المنفي مضارعا، نحو قوله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾[4]، أي: لا تفتأ.

وقول امرئ القيس:

---

(١)الأنعام: ١١٩.

(٢) النساء: ٩٠ .

(٣)الدسوقي٣/٤٢١.

(٤) يوسف: ٨٥.

فَقُلْتُ يَمين اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَو قَطَعُوا رَأْسِي لديك وَأَوصَالي(١)

أي: لا أبرح.

وعلّة دخولِ النفي على: (زَالَ وبَرِحَ وانفكّ وفتِئَ) أنّ هذه تفيد النفي والافتراق، ودخول النفي عليها يصيرها إيجابا(٢).

وحذفت (لا) اختصارا، والإسراع إلى الوقوف على جواب القسم، وجذب الانتباه إليه.

حذف اللام الموطئة للقسم:

مثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾(٣)، التقدير: ولئن أطعتموهم، أي: والله إن أطعتموهم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ جواب قسم محذوف(٤)، وحذفت اللام الموطئة للقسم؛ للإسراع في إظهار

(١)من الطويل، وهو في الديوان ص: ٣٢، والكتاب٣/٥٠٤، والمقتضب٢/٣٦٢، وحاشية الصبان١/٣٣٥.

(٢)علل النحو لابن الوراق/٢٤٧، ٢٤٨.

(٣) الأنعام: ١٢١.

(٤) وكل واحد من الشرط والقسم يستدعي جوابا، وجواب الشرط إما مجزوم، أو مقرون بالفاء، وجواب القسم إن كان جملة فعلية مثبتة، مصدرة بمضارع، أكد باللام والنون، نحو: والله لأضربن محمدا، وإن صدرت بماض اقترن باللام وقد، نحو: والله لقد قام محمد، وإن كان جملة اسمية فبـ(إن واللام)، أو اللام وحدها، أو بـ(إن) وحدها، نحو: والله إن محمدا لقائم، ووالله لمحمد قائم، ووالله إن محمدا قائم، وإن كان جملة فعلية منفية، فينفى بـ(ما) أو (لا) أو (إن)، نحو: والله ما يقوم محمد، ولا يقوم، وإن يقوم، والاسمية كذلك. ينظر: حاشية الخضري ٢/٢٨٧، ٢٨٨، والدسوقي٣/٤٢٨.

حكم أولياء الشياطين، وهو كونهم مشركين؛ ليكون ذلك أقوى في الرّدع والزجر. والدليل على أن اللام الموطئة للقسم محذوفة جملة جواب القسم المؤكدة بـــ(إن) و(اللام)، ولوكانت جوابا للشرط (إنْ) لاقترنت بالفاء؛ لأنها جملة اسمية.

حذف الجار:

يكثر ويطرد مع (أنّ وأنْ)، نحو: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾[١]، أي: بأن أسلموا، و﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾[٢]، أي: بأنكم.

وقد يحذف مع بقاء الجر، وهو قسمان: مطرد، وغير مطرد، فغير المطرد كقول رؤبة: –وقد قيل له : كيف أصبحت؟– خيرٍ عَافاك اللهُ، أي: أصبحتُ عَلَى خيرٍ، وحذِفَ حرف الجرّ؛ للتركيز على الحالة التي هو عليها؛ لأنها مراد السائل، والإسراع في بيان ذلك، ومن ثم كان الاختصار، ولو كان الجواب تاما لقال: أصبحتُ بخير.

وقول الفرزدق:

إِذَا قِيلَ أَيّ النّاسِ شَرّ قَبيلةٍ أَشَارَتْ كُليبٍ بِالأكفِّ الأصابعُ[٣]

أي: أشارت إلى كليبٍ، وحذف حرف الجر هنا: للإسراع في إلفات الذهن إلى القبيلة التي تشغل حيزا كبيرا في ذهنه من حيث الضَّعَة والصّغار.

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) المؤمنون: ٣٥.

(٣)من الطويل، وهو للفرزدق في ديوانه١/٤٢٠، والتصريح١/٣١٢، والصبان٢/٣٥٠.

والمطرد كقوله: بكمْ درهمٍ اشتريتَ هذا؟ فـ(درهمٍ) مجرور بـ(مِنْ) محذوفة عند الخليل وسيبويه، وبالإضافة عند الزجاج، فعلى مذهب الخليل وسيبويه يكون الجار قد حذِفَ وأبقِيَ عملُه، وهذا قياس عندَهمَا في مميِّزِ (كمْ) الاستفهاميّةِ إذا دخل عليها حرف الجرّ[1]، وحذف حرف الجر هنا، للاختصار؛ حتى لا يتوالى جاران ومجروران، وللتركيز على كمية الثمن؛ إذ هو المطلوب معرفته، فالمشتري موجود، والباقي معرفة مقابله.

حذف«أن» الناصبة:

وهذا الحذف إمّا مطرد، وإما شاذ. فالمطرد في مواضع معروفة منها: بعد لام الجحود، وحتى، وفاء السببية، وواو المعية.

وشاذ في غيرها، نحو: خذ اللص قبل يأخذَكَ، ومرْهُ يَحفرَهَا. وحذفت (أنْ) في المثال الأول للإسراع في بيان سبب الأمر (خذ) حتى يُسرِعَ في تنفيذه، وحذفت في المثال الثاني، للإسراع في تنفيذ ما أمر به، وهو الحفر، وإذا حذِفَتْ قياسا فإن ذلك يكون للتركيز على ما بعدها، وإلفات الانتباه إليه.

حذف لام الطلب:

يكون حذفها قياسيا بعد أمر، نحو: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾[2] ، أي: ليقيموا الصلاة، وذهب أكثر المتأخرين إلى كونه جواب (قل)[1].

(١)حاشية الخضري١/٥٣٧-٥٣٩.

(٢) إبراهيم: ٣١.

وحذفت لام الأمر؛ للتركيز على إقامة الصلاة؛ إذ هي المقصودة، وللإشعار بسرعة تنفيذ ما أمر الله به، وكذلك تلازم لحظة التلفظ وزمن التنفيذ.

حذف حرف النداء:

حروف النداء قد تحذف إذا كان المنادي منك قريبا، كقولك: زيد أقبل، وغلامَ عمرٍو تعالَ.

وقد كثُرَ حذف حرف النداء في القرآنِ كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾(٢)، و﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ (٣).

والسر في ذلك– والله أعلم– أن الله قريب ممن يدعوه(٤)، أي: إنه حذفت (يا) للدلالة على قرب المنادي.

حذف نون التوكيد الخفيفة:

يجب حذف نون التوكيد الخفيفة إذا لقيها ساكنة، نحو: اضْرِبَ الغُلامَ، –بفتح الباء– والأصل: اضرِبَنْ الغلامَ، وقولُ الأَضْبط بن قُرَيع:

لا تُهِينَ الفَقيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمَاً والدهرُ قَدْ رَفَعَهْ(٥)

(١)الصبان ٤/٥.

(٢) يوسف: ٢٩ .

(٣) آل عمران: ٨.

(٤)علل النحو/٣٤٧، ٣٤٨.

(٥)من المنسرح، وهو في الشعر والشعراء١/٣٩٠، وحاشية الخضري٢/٢٢٢.

الأصل: لا تُهِينَنْ، حذِفتْ نونُ التوكيد الخفيفة لالتقائها ساكنةً مع لام التعريف.

وهذا البيت فيه شذوذ عروضي، فهو من المنسرح، لكن دخل في (مستفعلن) أول جزء منه الخبن، فصار (متفعلن)، ودخله الخرم، وهو حذف أول الوتد المجموع، فصار فاعلن[١].

حذف لام الفعل للتخفيف:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[٢] ، أصل: (أَكُ) أكُونُ، حذفت الضّمّة للجازم والواو لالتقاء الساكنين، ونونه للتخفيف، والإسراع في نفي كونها بغيا، فلم يبق من أصول الكلمة إلا فاؤها [٣].

حذف نون الرفع:

تحذف نون الرفع في الأمثلة الخمسة في حالة الرفع وجوبا إذَا أُكِّدَتْ بالنّون، فتقدر، نحو: هل تضربانِّ، وهل تضربُنَّ يا زيدونَ، وهل تضربِنَّ يا هندُ، وجوازًا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية، نحو: "تأمروني"، بناء على الصحيح من أن المحذوف نون الرفع، لا نون الوقاية، وإذا لم تحذف جاز

(١)الدسوقي٣/٤٣٤، وحاشية الخضري٢/٢٢٢.

(٢) مريم: ٢٠.

(٣)الصبان١/٣٤٠.

الفك والإدغام، وبالأوجه الثلاثة قرئ: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

وبقلة في غير ذلك، نحو:

أبيتُ أسرى وتبيتِي تَدْلُكي وجهك بالعنبرِ والمسك الذكي[2]

و قول أيمن بن خريم:

وَإِذْ يَغْصِبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ إِذَا مَلَكُوهُمْ وَلَمْ يَغْضبُوا[3]

وفي الحديث:«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا». الأصل: لا تدخلون ولا تؤمنون.

وقُرِئَ [4]:﴿ قَالُوٓاْ سَاحِرَانِ يَظَّاهَرَا ﴾[5]، أي: يَتَظَاهِرَانِ، قلبت التاء ظاء، وأدغمت الظاء في الظاء، وحذفت النون للتخفيف.

(١) الزمر: ٦٤. وينظر الصبان١/١٤٤.

(٢)من الرجز، ولم يعرف قائله، وهو في الخصائص ١/ ٣٨٨، والمحتسب٢/٢٢، وضرائر الشعر، لابن عصفور/ ١١٠، والمقاصد الشافية ١/٢٢١، والصبان١/١٤٤.

(٣)من المتقارب، وهو لأيمن بن خريم، شاعر إسلامي من بني أسد، كان أبوه صحابيا، أخباره في الشعر والشعراء/٥٤١.

والبيت في ضرائر الشعر لابن عصفور/١١٠، والمقاصد الشافية ١/٢٢٢.

(٤) قراءة أبي عمرو.

(٥) القصص: ٤٨.

وقال عمر –رضي الله عنه– في قتلى بدر: «يا رسول الله، كيف يسمعون، أنى يجيبوا، وقد جيَّفوا؟»[١]

حذف آخر المنادى للترخيم:

الترخيم في اللغة: ترقيق الصوت وتليينه، يقال: صوت رخيم، أي: سهل لين، ومنه قول ذي الرّمّة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراءٌ ولا نَزْرُ[٢]

أي: رقيق الحواشي.

وفي الاصطلاح: حذف بعض الكلمة على وجه مخصوص، وهو على نوعين: ترخيم النداء، وهو حذف آخر المنادى، كـــ«يَا سُعَا فِيمَنْ دَعَا سُعَادَا»[٣]

وترخيم التصغير، وهو تصغير الاسم بتجريده من الزوائد الصالحة للبقاء؛ ليخرج، نحو: متدحرج ومحرنجم؛ لامتناع بقاء الزيادة فيهما؛ لإخلالها بالزنة عند تصغيرِ غير الترخيم؛ أي: فلا يسمى تصغيرهما على: (دحيرج وحريجم) تصغيرَ ترخيم.

ومعنى الصالحة للبقاء؛ أي: في تصغيرِ غير الترخيم، ونحو: (سفرجل) لا يصغّر تصغيرَ ترخيمٍ لعدم الزيادة فيهِ؛ أي: إنه لا بد من أمرين: أن يكون في الاسم زيادة، وأن تكون هذه الزيادة صالحة للبقاء في تصغير غير الترخيم.

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ٥٤٦/٢ بلفظ: يسمعوا.

(٢) من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة/ ٥٧٧ والخصائص ٢٩/١.

(٣) الصبان٢٥٤/٣.

فإن كانت أصوله ثلاثة صغر على (فُعَيْل)، نحو: أزهر: زهير، وإن كانت أربعة فعلى (فُعَيعل)، تقول في (قرطاس و عصفور): قريطس، وعصيفر [١].

ويحذف الحرف للاستثقال، سواء أكان هذا الحرف زائدا، أم فاء، أم عينا، مثال الزائد: أكرم، والأصل: أ أكرم، حذفت الهمزة الزائدة في الماضي من مضارعه كراهة اجتماع همزتين زائدتين في المضارع المبدوء بهمزة، وحمل عليه المبدوء بغيرها، ومثال الفاء: (يَعِدُ)، والأصل: (يَوْعِدُ).

ومثال العين أن تقولَ فِي ظَلِلتُ: (ظَلْتُ)، وعليه قوله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[٢] .

ويحذف الحرف لتعذر التقائه بحرف آخر، كالحذف لالتقاء الساكنين، نحو: (قاض وساعٍ)، والحذف يكون للتوافق والانسجام، كالحذف في العروض لتلحق بالضرب، وهو المسمى بالتصريع، نحو: قول امرئ القيس:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ[٣]

الحرف مزيدا:

يُزاد الحرفُ لأغراضٍ كثيرةٍ منها:

(١) الصبان٤/٢٣٨.

(٢) الواقعة: ٦٥.

(٣) من الطويل، الديوان/ ٣٥٧، وحاشية الدسوقي٢/٢٢٢.

الدّلالة على الزمن كحروف «أنيت» التي تدل على المضارع، وإنما زيدت في الأول دون الآخر، مع أن محل التغيير والزيادة الآخر؛ لأنها لو زيدت في الآخر لا التبس بالمضي؛ إذ لو زيدت الهمزة في الآخر، وسهلت بقلبها ألفا التبس بتثنية الغائب، نحو: (ضربا)، ولو زيدت التاء التبس بالغائبة المفردة، نحو: (ضربت)، ولو زيدت النون التبس بجمع المؤنث الغائبة، نحو: (ضربن)، ولما لزم الالتباس في هذه الثلاثة حملت الياء عليها وإن لم يحدث لبس بزيادتها في الآخر [١].

تعيين الزمن إذا كان للفعل أكثر من زمن، كالمضارع، فإنه يدل على الحال والاستقبال فإذا دخلت عليه (السين) أو (سوف) خلصته للاستقبال، كما أن الاستقبال ليس واحدا، فإذا أريد الاستقبال القريب دخلت (السين)، وإذا أريد البعيد دخلت (سوف)، وقيل: إن (السين) منقوص من (سوف)، دلالة بتقليل الحروف على تقريب الفعل [٢].

الدلالة على العدد:

تزاد الألف للتثنية، يقال: ضربا وضربتا، والواو لجمع المذكر، يقال ضربوا، والنون لجمع المؤنث، يقال: ضَرَبْنَ.

وإنما اختصت هذه الحروف بالزيادة ؛ لأن الأصل أن يزاد في الفعل حروف اللين؛ لأن في الزيادة ثقلا، وهي أخف الحروف؛ لاعتياد الألسنة لها، واستئناس السامع بها؛ لكثرة دورانها في الكلام.

(١) الفلاح في شرح المراح ، لابن كمال باشا/١٢١.

(٢) الفلاح في شرح المراح ، لابن كمال باشا/١١٨.

وخصت الألف للتثنية والواو للجمع؛ لأن الألف من أول المخارج، والواو من آخرها [١]، والاثنان قبل الجماعة، فاختص المقدم بالمقدم والمؤخر بالمؤخر.

واحترزوا عن زيادة الياء في جمع النساء؛ لئلا يلزم دخول الكسرة التي هي أخت الجر على الفعل؛ لأن الياء الساكنة تستدعى كسرة ما قبلها، وهذا يفضي إلى جر الفعل، فزادوا فيه حرفا شبيها بحرف المد اللين من حيث الخفاء واللين، وهي النون، وحركوها؛ لما فيها من قوة الاسمية [٢].

إشباع الحركة:

قيل هذا في قول قيس بن زهير:

ألم يَأْتِيك والأنباء تنمي بِمَا لاقت لبون بني زِيَاد [٣]

حيث أشبعت حركة التاء ضرورة.

ومن ذلك قول ابن هرمة:

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح [٤]

وقول ابن هرمة:

---

(١) مذهب سيبويه ومن تبعه كالشاطبي إسقاط مخرج الجوف، وهو حروف المد الثلاثة، ووزعوا حروفه مع بقية المخارج، فجعلوا الألف مع الهمزة والياء المدية مع المتحركة أو الساكنة بعد فتح، والواو المدية مع المتحركة أو الساكنة بعد فتح. ينظر صفوة الإتقان في تجويد القرآن للشيخ عبد الرحيم حبيب ص/٧١.

(٢) الفلاح/ ٦٧، ٦٨ و صفوة الإتقان/ ٧٣.

(٣) من الوافر، وهو في ديوان قيس/ ٢٩ والكتاب ٣١٦/٣، والمقاصد الشافية ٢٣٧/١.

(٤) من الوافر، وهو في ديوان ابن هرمة /٨٧ و المقاصد الشافية ٢٣٩/١.

وأنني حيث ما يسري الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنو فأنظورُ[١]

التوكيد:

وذلك مثل زيادة الباء في المبتدأ، نحو: بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ[٢]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾[٣] ، هنا (مِنْ) زائدة لتوكيد العموم[٤].

الحرف عوضا:

يزاد الحرف عوضا من الحركة، جاء العوض من الحركة في (أسطاع) و(أهراق) بقطع الهمزة وضم أول المضارع، والأصل، (أطاع يطيع) و(أراق يريق)، وأصل (أطاع) (أطوع)، و(أراق) (أروق) أو (أريق).

نقلت حكة العين إلى الساكن الصحيح قبلها، ثم قلبت ألفا، وزادوا السين والهاء عوضا عن تحرك العين الذي فاتها بسبب نقل الحركة إلى الساكن[٥].

ولو طبقنا نظام الميزان لاجتمع في لفظ الميزان ساكنان يتعذر النطق بهما، ولذلك ذهب صاحب التصريح إلى أن وزنهما (أفعل)[١]؛ ومما يتعذر وزنه: (اسطاعوا) من قوله تعالى :﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾[٢] .

---

(١) من البسيط، وهو في ديوان ابن هرمة/١١٧ والمقاصد الشافية ٢٣٩/١ والدسوقي ٣٦٣/٢.

(٢) الدسوقي ٢٩٦/١

(٣) فاطر: ٣.

(٤) الدسوقي ٢٦٤/٢.

(٥) ظاهرة التعويض في لغة العرب. تأليف د/ عبد الفتاح محمد حبيب ص ٢٧، ٢٨.

ومذهب سيبويه أن النون لحقت المثنى والجمع عوضا عما فاتهما من الإعراب بالحركات ومن دخول التنوين[٣].

ويزاد الحرف عوضا من الحرف، ذكر ابن جنى في الخصائص أن الحرف الذي يحذف فيجاء بآخر عوضا منه على ضربين : أحدهما أصلي، والآخر زائد[٤].

والأصلي الذي يحذف إما أن يكون فاء، أو عينا، أو لاما. مثال الفاء: (عدة وزنة وشية وجهة)، حذفت الواو، وعوض منها بالتاء، ومثال العين: (أينق)، قيل: إن أصله: (أنوق)، حذفت الواو، وعوض منها ياء، فصار (أينق) على وزن (أيفل)، ومثال اللام باب (سنة)، والمراد بباب سنة كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوضت منها هاء التأنيث ولم تكسر.

وهذا الباب اطرد فيه الجمع بالواو والنون رفعا و بالياء والنون نصبا وجرا، نحو: (عزة وعزين)، و(عضة وعضين)، وأصل (عزة): (عزو)، وهي الفرقة من الناس، وأصل (عضه): (عضو)، من العضو: واحد الأعضاء، فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[٥]، أن الكفار جعلوا القرآن أعضاء؛ أي مفرقا.

---

(١) التصريح٢/٣٥٩.

(٢) الكهف: ٩٧، وينظر: المغني في تصريف الأفعال/٣٠.

(٣) الكتاب ١/١٧، ١٨ وحاشية الصبان ١/٩١.

(٤) الخصائص٢/٢٨٥.

(٥) الحجر: ٩١.

وأصل (سنة): سنو، أو سنه؛ لقولهم في الجمع: سنوات وسنهات، حذفت الواو أو الهاء وعوض منها بالتاء [١].

ومثال الزائد الذي حذف وعوض منه: زنادقة، الأصل: زناديق، حذفت ياء المد وعوض منها التاء، وقولهم في تصغير (مدحرج) وتكسيره: دحيريج ودحاريج [٢].

وكالتاء التي تلحق الجمع الأقصى عوضا عن ياء النسب في مفرده، نحو: أشعري وأشاعرة، وأزهري وأزاهرة [٣].

الحرف للمبالغة:

ويزاد الحرف للمبالغة، وذلك مثل (ابنم) الأصل: ابن، زيدت الميم فيه لتفخيم المعنى والمبالغة فيه، وكذلك (زُرقُمْ) لشديد الزُّرقَة [٤]، وللمبالغة في الصفة التي على فاعل، كـــ(راوية)، أو لتأكيد المبالغة في الصفة التي على (فعَّال) أو مفعال أو فعولة، كنسَّابَة و (مطرابة وفروقة) [٥].

الحرف زينة:

ويزاد زينة، قال ذلك الشيخ خالد الأزهري عند إعرابه لقول ابن مالك:

أل حرف تعريف أو اللام فقط فنمط عرّفت قل فيه النمط

(١) ظاهرة التعويض/ ٣٦.

(٢) ظاهرة التعويض/ ٤٨.

(٣) التبيان/١٠٧.

(٤) شرح الشافية ٢/٢٥٢ والصبان٤/٣٨٦ والقول الفصل/٢٠٩.

(٥) التبيان /١٠٧ يقال: رجل فروقة؛ أي شديد الخوف (مختار الصحاح/ ٢٢٢.

الفاء في (فقط) زائدة لتزيين اللفظ، وتبعه الصبان [١]، والفاء في (فحسب) زائدة لتزيين اللفظ[٢].

ويزاد الحرف لإسعاف الشعراء والسجاع، وذلك متحقق في زيادة الإلحاق، وهو جعل مثال على مثال أزيد منه؛ ليعامل معاملته في التصريف، يلحق الفعل بالفعل؛ ليجري مجراه في تصاريفه في الماضي والمضارع والأمر والمصدر وبقية المشتقات، وذلك نحو: سيطر يسيطر سيطرة فهو مسيطر، عومل معاملة الملحق به، وهو دحرج يدحرج دحرجة فهو مدحرج.

ويلحق الاسم بالاسم؛ ليعامل معاملته في التصغير والتكسير إن كان الملحق به رباعيا، نحو: ضيغم، وهو ملحق بجعفر يصغر كتصغيره: ضييغم، ويكسر كتكسيره: ضياغم، والغرض من زيادة الإلحاق غرض لفظي[٣].

الحرف مدغما:

إذا كانت فاء (تفعَّل) أو (تفاعل) تاء أو ثاء أو ذالا أو دالا أو صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء أو زايا أو سينا أو شينا أو جيما تقلب التاء إليها، ثم الإدغام، ثم اجتلاب همزة الوصل.

وعلى هذه القاعدة خرِّجَ قولُه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤].

(١) الصبان١/٢٥٧، ومعجم الشوارد النحوية/٤٢٣.

(٢) معجم الشوارد النحوية/٤١٦.

(٣) المغني في تصريف الأفعال/ ٥٢.

(٤)التوبة: ٣٨.

الأصل تثاقلتم، قلبت التاء ثاء توصلا إلى إدغام الثاء في الثاء، ثم اجتلبت همزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[1].

الأصل: تدارأتم، قلبت التاء دالا، وأدغمت الدال في الدال، فاجتلبت همزة الوصل[2].

وإذا دخل الفعل المبدوء بهمزة وصل تغيير بالإدغام صرفه عن صورته الأصلية، فإنه يؤتى بالمصدر وفق الصورة الأصلية، ويلحقه من التغيير ما لحق الفعل، وذلك في (افتعل) إذا كانت عينه تاء أو حرفا مقاربا للتاء، كالدال والصاد، نحو: (اهتدى واختصم)، تقلب التاء دالا، ثم تدغم الدال في الدال، ثم تنقل حركة التاء إلى الهاء فيقال: هدًّى، أو تحذف حركة التاء، ثم تحرك الهاء بالكسر على أصل التخلص من الساكنين فيقال: هِدِّي، ويقال ذلك أيضا في اختصم، ويقال في المصدر: هِدًّاى وخِصَّام.

وعلى هذا خُرِّجَ قوله تعالى: ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ ﴾[3]أصله: (يهتدي) قلبت التاء دالا، وأدغمت في الدال، ثم كسرت الهاء فرارا من التقاء

(١) البقرة: ٧٢ .

(٢) شرح الشافية ٣/٢٩١ والتبيان/٥٤.

(٣) يونس: ٣٥.

الساكنين[١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[٢].

أصل (يخصمون): يختصمون، قلبت التاء صادا بعد حذف حركة التاء، وكسرت الخاء لسكونها وسكون الصاد الأولى، والكسر هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين، وإنما أبدلت التاء صادا؛ لأن التاء مهموسة، والصاد مطبقة مجهورة، فاستثقل اجتماعهما، فأبدلوا من التاء صادا، لتوافق الصاد في الإطباق، وأدغموا الأولى في الثانية[٣].

وجدير بالذكر أن العين المقاربة يمثلها تسعة أحرف هي: الدال والذال والزاي والصاد والضاد[٤] والطاء والظاء والسين والثاء.

الحروف تتقارض:

وذلك كالذي بين (لم) و(لن) فـــ(لم) تنصب، مثل قراءة بعضهم :﴿ أَلَمْ نَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٥]، بفتح الحاء.

(١) البيان ٣٤٩/١ ، ٣٥٠ ، والتبيان ٥٥، ٥٦ .

(٢) يس: ٤٩.

(٣) البيان ٢٤٨/٢.

(٤) الضاد وإن لم تكن من طرف اللسان، لكن باستطالتها قربت من حروف طرف اللسان. شرح الشافية ٢٨٦/٣.

(٥) الشرح: ١.

قال ابن هشام: «وفيه نظر؛ إذ لا تحل (لن) هنا، وإنما يصح –أو يحسن– حمل الشيء على ما يحل محله كما قدمنا؛ وقيل: أصله: (نشرحن)، ثم حذفت النون الخفيفة وبقي الفتح دليلا عليها، وفي هذا شذوذان: توكيد المنفي بـــ(لم) مع أنه كالفعل الماضي في المعنى، وحذف النون لغير مقتض مع أن المؤكد لا يليق به الحذف» ا.هـــ [١] .

و(لن) تجزم، كقوله:

لَنْ يَخِبِ الآنَ مِنْ رَجَائِكَ مَنْ حَرَكَ من دُون بَابِكَ الحَلَقَهْ [٢]

والحرف الزائد يعامل معاملة الأصلي، والأصلي يعامل معاملة الزائد.

مثال الزائد الذي يعامل معاملة الأصلي قولهم في جمع (مسيل) على (مسلان) كما جمع (قفيز) على (قفزان) [٣]، وحقه مسايل[٤] ، فالميم مع أنها زائدة عوملت معاملة القاف، وهي أصلية في (قفيز) ومثال الأصلي الذي يعامل معاملة الزائد قولهم في جمع (مصيبة): (مصائب) اتفاقا، فياء (مصيبة) ليست كياء (صحيفة) الأولى أصلية منقلبة عن الواو، والثانية زائدة ، فكان القياس: (مصاوب)، وبعضهم قال في جمع: (معيشة): (معائش)، والقياس (معايش)، كما جاء في القرآن الكـــريم، قال تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي

(١) حاشية الدسوقي ٥٦٣/٣.

(٢)من المنسرح، وهو لأعرابي، حاشية الدسوقي ١٧٨/٢، ٥٦٣/٣.

(٣) التبيان/١٦٣.

(٤) التبيان/١٦٩.

ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾[٢]

توهم وجود الحرف في المفرد وهو غير موجود:

وذلك نحو: (حُسْن)، و(شَبَه)، و(ذكر)، و(لمحة)، قالوا في جمعها : محسن، ومشابه، ومذاكير، وملامح [٣].

إذ لم يقولوا في المفرد: محسن ، ومشبه، ومذكار، وملمحة

معاملة الحرف المقلوب معاملة الأصلي:

وذلك نحو: اسم الفاعل من جاء: (جاءٍ)، والأصل: (جايئ)، وقعت الياء عينا لاسم فاعل فعل أعلت فيه، فقلبت همزة، فصار: جائء ، ثم قلبت الهمزة الثانية ياء؛ لاجتماع همزتين ثانيهما لام، فصار: (جائي) ثم أعل إعلال قاضٍ، فالياء في (جائي) المنقلبة عن الهمزة عوملت معاملة الياء الأصلية [٤].

ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

جَرِيءٌ، مَتَى يُظلَمْ يُعاقِبْ بِظُلمِهِ سَرِيعًا، وإِلَّا يُبْدَ بالظُّلمِ يَظلِمِ[٥]

موضع الشاهد: (يبد)، حيث إنّ أصله يبدأ، ثم أبدلت الهمزة ألفا، وعوملت الألف المنقلبة عن الهمزة معاملة الألف الأصلية، فحذفت للجزم.

---

(١) الأعراف: ١٠.

(٢) الحجر: ٢٠. وينظر شرح الشافية ٢٩/١.

(٣) الكتاب ٢٨٢/٢ وينظر مختار الصحاح ص ٦٦، ١٤٨، ٢٦٤.

(٤) شرح الشافية٢٥/١، ٢٦.

(٥) من الطويل، وهو في شرح شعر زهير بن أبي سلمى لثعلب/٣١.

الحرف يكتب ولا ينطق، وينطق ولا يكتب:

مثال الحرف الذي يكتب ولا ينطق كتابة الألف بعد واو الجمع في مثل: (كتبوا) و(لم يكتبوا)، للفرق بين واو الجمع وواو العطف في مثل: عندما حضروا تكلم زيد، وفي مثل: عندما لم يحضروا يتكلم زيد، يعني إذا لم يكتب الألف بعد الواو لم يعلم أن (حضر) و(لم يحضر) مفرد، وعطف عليه (تكلم) و(يتكلم) أو جمع لم يعطف عليه (تكلم) و(يتكلم)، وأما إذا كتبت الألف زال هذا الالتباس[١].

وقيل: فرقا بين الواو التي هي لام الفعل، نحو: نرجو، وندعو، والواو الزائدة للدلالة على الجمع.

وأيضا زيدت الواو في (أولى) –ولم تنطق– فرقا بينه وبين (إلى) وأجري (أولو) عليه، وكذا زيدت في: أولئك، فرقا بينه وبين إليك[٢].

ومثال الذي ينطق ولا يكتب (ألف ها) مع اسم الإشارة: هذا ، هذه، هذان، هؤلاء، وكذا الأمر في ذلك، وأولئك، ولكنْ ولكنَّ .

والسبب في ذلك كثرة الاستعمال[٣].

(١) الفلاح ص ٦٩.

(٢) شرح الشافية٣/٣٢٧.

(٣) شرح الشافية ٣/٣٢٩-٣٣٢.

ثبت المصادر والمراجع

- البيان في إعراب غريب القرآن، للأنباري، ضبطه وعلق عليه: بركات يوسف هبود، شركة دار الأرقم بن الأبي الأرقم، بيروت، لبنان.
- التبيان في تصريف الأسماء، للدكتور أحمد حسن كحيل، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، بريده، القصيم، السعودية/ ١٤٢٤هـ.
- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، ط: عيسى الحلبي.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، شرحها وعلق عليها: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٨م.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، ضبط وتصحيح: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/٢٠٠٠م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية/١٩٥٢م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بمصر/١٩٥٨م.

- ديوان ذي الرمة، بشرح أبي نصر الباهلي، تحقيق: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت/١٩٨٢م.
- ديوان الفرزدق، بشرح الصاوي، القاهرة/١٩٣٦م، وطبعة دار صادر، بيروت.
- ديوان قيس بن زهير، نشر عادل جاسم البياتي/ ١٩٧٢م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: سامي مكي العاني، المعارف ببغداد/ ١٣٨٦هـ.
- ديوان ابن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف/ ١٩٦٩م.
- شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح شعر زهير بن أبي سلمى لثعلب، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى/١٩٩٦م.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث العربي للطباعة، القاهرة، الطبعة الثالثة/١٩٧٧م.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة /١٣٧٤هـ.
- صفوة الإتقان في تجويد القرآن، للشيخ عبد الرحيم محمد حبيب، مكتبة الديار، خلف الجامع الأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى/ ٢٠١٤م.

- ضرائر الشعر، لابن عصفور، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، الطبعة الأولى/١٩٨٠م.
- ظاهرة التعويض في لغة العرب، للدكتور عبد الفتاح محمد حبيب، مطبعة حسان، القاهرة/١٩٩٥م.
- علل النحو، لأبي الحسن الوراق، تحقيق: د/ محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٩٩٩م.
- الفلاح في شرح المراح، لابن كمال باشا، رسالة ماجستير، في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحقيق: عمر شعيب/ ١٤٣٥هـ.
- القول الفصل في التصغير والنسب وهمزة الوصل، للشيخ عبد الحميد عنتر، الطبعة الثانية/ ١٤٠٩هـ.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧١م.
- المحتسب، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي، المجلس الأولى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- مختار الصحاح، للرازي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م.
- معجم الشوارد النحوية، محمد محمد حسن شراب، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى/ ١٩٩٠م.

- المغني في تصريف الأفعال، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٨هـ.
- مغنيب اللبيب، لابن هشام، تحقيق: الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩١م.
- المقاصد الشافية، للشاطبي، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن العثيمين وأخرين، جامعة أم القرى/ ١٤٢٨هـ.
- المتضب، للمبرد، تحقيق: د/ محمد عبد الخالق عضمية، المجلس الأولى للشؤون الإسلامية، القاهرة/ ١٣٨٥هـ.